مخطوطات نادرة :

وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام

للسخاوي

للأستاذ حمد الجاسر

عنى الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المولود في القاهرة سنة ٨٣١ والمتوفى في المدينة سنة ٩٠٢ من الهجرة — بالتاريخ عناية برز أثرها فيما كتبه من المؤلفات العظيمة التي أشار إلى بعضها في ترجمته لنفسه في كتابه (الضوء اللامع) وسلم لنا منها من عيث الزمان وعبثه خير كثير ، مثل : —

١ — الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع في ستة مجلدات ضخام — وقد طبع بمطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٥٣ — ١٣٥٥ حذا فيه حذو شيخه الحافظ ابن حجر في كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) وسار على منواله آخرون ، أتوا بعده

٢ — التبر المسبوك — ذيل به على كتاب (السلوك) للمقريزي من سنة ٨٠٥ إلى ما بعد سنة ٨٩٩ — بقليل — ألفه كما قال (إجابة لمطلوب وقته الدوادار الكبير في الأيام الأشرفية قايتباي بشبك بن مهدي الظاهري) وقال : إنه يقع في أربعة أسفار — ولعل الجزء المطبوع بهذا الاسم في مطبعة بولاق سنة ١٨٩٦ قسم من هذا الكتاب

٣ — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ — وهو كتاب في التعريف بالتاريخ وبأشهر المؤرخين ومؤلفاتهم وهو مطبوع

٤ — الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر — لا يزال مخطوطا

٥ — القول المنبي في ترجمة ابن عربي — وهو مخطوط أيضا — وفي هذا الكتاب أورد السخاوي أقوال العلماء المحققين في شطحات ابن عربي وزلاته

٦ — وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام — قال عنه مؤلفه في (الضوء) — : إنه نافع جدا ، وقال صاحب كشف الظنون (ص ٧٦٢ الطبعة التركية الحديثة) في أثناء الكلام على (دول الإسلام) — : ثم ذيله السخاوي من سنة ٧٤١ إلى سنة ٩٠١ ذيلا مختصرا كأصله ، وسماه الذيل التام بدول الإسلام — ثم أعاد صاحب الكشف اسم الكتاب مرة أخرى في حرف الذال . وسماه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (ج ٣ ص ١٦٩) وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الإسلام وقال إنه من سنة ٧٤٥ إلى سنة ٨٩٨ ومنه نسخ في برلين وفينا وأكسفورد والمتحف البريطاني وكوبرلي

وقد اطلعت على جزء من هذا الكتاب لدى أحد علماء نجد في (الرياض) فرأيت خير تحية أقدمها لحضرات الأساتذة الأجلاء موظفي (القسم الأدبي في دار الكتب المصرية) وصف هذا الجزء — فقد لا يعدمون منه عونا في تصحيح الأجزاء الباقية من كتاب (النجوم الزاهرة) ، وقد يجدون فيه مرجعا نافعا في تاريخ مصر — بل البلاد العربية في ذلك العهد

يؤرخ هذا الجزء — وهو الأول من الكتاب — الزمن الواقع بين سنتي ٧٤٨ و ٨٩٠ — أي ثلاثا وأربعين ومائة سنة — من منتصف القرن الثامن إلى نهاية العقد التاسع من القرن التاسع — فيذكر الحوادث ثم يتبعها بوفيات الأعيان من علماء وملوك وأمراء ومشاهير ، وهو يوجز في ذلك أحيانا ويفصل حينا — فسنة حوادثها ووفياتها لا تتجاوز ثلاث صفحات ، وأخرى تستغرق ورقات

مثال من إيجازه (سنة تسع وعشرين وثمانى مائة . في رجب برز العسكر المصري وغيره في الحراقة وقبرص (كذا) حين طرق الخبر أن صاحبها استنصر بملوك الفرنج على المسلمين ، لما جرى على بلاده ، ما أشير إليه في التي قبلها . وأنهم أمدوه ليأخذ إسكندرية — زعم — تأسيا بوالده ، حين طرقها في المحرم سنة سبع وستين ، أيام الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون — سبق — فكان التقاء الفريقين في رمضان ، فخذل حزب اللعين وأمسك صاحب قبرص فقيد ، وقتل من عسكره في يوم

واحد ستة آلاف فيما قيل — منهم أخوه وكذا قيد ابنه وابن أخي صاحب الكيتلان وأخذت الأفقنسية (١) كرسي المملكة وأقيمت الجمعة بقصره الذي رجد فيه من الأمتعة مالا يحصى، وأذن على صوامع الكنائس، وعادوا بعد أن قتلوا وحازوا من الغنائم مالا يحصى كثرة، وأسروا نحو أربعة آلاف نفس حتى طلموا القلعة في يوم الاثنين، ثامن شوال، فكان أمرا مهولا لم يعهد في هذه الأزمان مثله وخرج الخلق لرؤيته حتى البكر من خدرها؛ وحضر ذلك أمير مكة ورسل كل من ابن عثمان وملك تونس وأمير التركمان وابن نمير (٢) وكثير من قصاد أمراء الشام، وقرر عليه من المال بسبب افتدائه ما يفوق الوصف، مما يقوم بنصفه الآن، وبالباقي إذا رجع، سوى ما التزم به في كل سنة من المال، والصوف الملون، وأن يطلق من بقي عندهم من أسرى المسلمين. وقال لما دخل إسكندرية ورأى كثرة من بها من الجند: والله إن كل من في بلاد الفرنج لا يقاوم هؤلاء وحدهم، وفرح المسلمون بنصر الله تعالى، وطار خبر هذه الغزوة إلى الآفاق، وعظم بها قدر سلطان مصر، وقال الشعراء الشعر في ذلك فأكثروا، بل قيل إن الملك قال بلسانه قبل خلاصه مما عرب: —

يا ملكا ملك الورى بحسامه ... انظر إلى برحمة وتعطف
وارحم عزيزاً ذل وامنن بالذي ... أعطاك هذا الملك والنصر الوفي
إن لم تؤمني وترحم غربتي ... فبمن ألوذ ومن سواك لي بقي

ومات في جمادى الآخرة عن دون الثمانين بدمشق العلامة الزاهد الورع الرباني التقي أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني ثم الدمشقي الشافعي شارح التنبيه والمنهاج والغاية وأربعين النووي والأسماء الحسنى وصحيح مسلم وغير ذلك؛ كتلخيص المبهمات وقمع النفوس. مع القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانجماعه التام، وتقشفه، وعدم محاباته، وانحرافه عن التقي ابن تيمية، ومبالغته في الحط عليه بحيث ثارت بسبب ذلك فتن كثيرة مما كان الوقت في غنية عنه. وفي ذي الحجة وقد زاد على الستين بيت المقدس قاضي الشافعية بالديار المصرية وصاحب تلك الحوادث التي لا تخلو من التعصب عليه، الشمس محمد بن عطاء الله الرازي الهروي ممن ولي صلاحية المقدس في أول أمره وآخره، والقضاء بينهما مرة بعد أخرى، وكتابة السر. وحدث ودرس وأفتى، وصنف شرح مسلم وغيره، وكان إماما عالما غواصا على المعاني، حافظا لكثير من المتون والتواريخ، رئيسا مهابا، ضخما، حسن الشكالة، لين الجانب، أثنى عليه غير واحد على ما فيه من طبع الأعاجم وقوادح. وبنى بالمقدس مدرسة. وفي ذي الحجة بالقرب من المدينة النبوية وهو راجع من الحج والزيارة العلاء أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الدمشقي الشافعي ابن سلام بالتشديد وقد زاد على السبعين ونقل إلى المدينة فدفن بالبقيع وكان حافظا لكثير (الرافعي) مع إشكالات عليه، وأسئلة حسنة، بحاثا يقرئ الفقه وأصوله حسنا، مع يد في الأدب، ونظم ونثر واقتصاد في ملبسه وغيره، وحسن محاضرة، وشرف نفس، ولكنه يتكلم في كبار، ويرمى بالمفاضلة عن ابن عربي. وقد درس في الظاهرية البرانية والمذراوية وغيرها. وفي ربيع الآخر العلامة شيخ الشيخونية. وأوحد الحنفية، السراج عمر بن علي بن فارس القاهري ويعرف بقارئ الهداية، تصدى للاقراء والإفتاء، وكثرت تلامذته، وصار المعول عليه، مع الاقتصار في أموره كلها، وإعراضه عن بني الدنيا، وعظمته في الأنفس ومحاسنه غزيرة. وفي جمادى الآخرة عن نحو التسعين قاضي المالكية بالديار المصرية الجمال أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نصير الطائي البساطي، مصروفا، وكان فيما قاله العيني: عارفا بصنعة القضاء غير مشكور فيه، ولا متقدم في مذهبه وغيره. وفي المحرم فجأة الشيخ المعتقد خليفة الغربي ثم الأزهري، وفي جمادى الآخرة الشريف أمير مكة حسن بن عجلان بن رميثة الحسني. وفي رمضان الأتابك قجق الشعباني الظاهري، ونزل السلطان فصلى عليه، وكان متواضعا حليما لينا، خائفا على دينه، قاله العيني. واستقر بعده بشبك الساقي الأعرج. وعلبياي بن خليل ابن الغادر قتلا على يد نائب حلب جارقطلو)

(١) كذا شكلت هذه الكلمة (الأفقنسية)
(٢) ابن نمير بن مهنا أمير آل فضل

ومثال آخر لتفصيله فى التراجم — قال فى الكلام على حوادث سنة ٧٤٨ — فى سياق وفياتها (والكمال[٣] أبو الفضل جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوى الشافعى مصنف الإقناع فى أحكام السماع والطالع السعيد فى تاريخ الصعيد والبدر السافر فى تحفة المسافر وجملة . والماهر فى فنون ، مع فقه ونظم ونثر — فى صفر بالقاهرة عن نيف وستين سنة بعد رجوعه من الحج . أثنى عليه الأسنوى وغيره وهو القائل :

إن الدروس بمصرنا فى عصرنا ... طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهى لنهاية ... جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدى مباحث كلها ... نشأت عن التخليط والأخلاط
ومحدث قد صار غاية علمه ... أجزاء يرويها عن الدمياطى
وفلانة تروى حديثا عاليا ... وفلان يروى ذاك عن أسباط
والعرق بين عزيزهم وعزيزهم ... وافصح عن الخياط والحناط
والفاضل النحرير فيهم دأبه ... قول أرسطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله عادت جهرة ... هذا زمان فيه طى بساطى
ولى زمانى وانقضت أوقاته ... وذهابه من جملة الأشراط

ودفن بمقبرة الصوفية)

وقد يستعمل المؤلف السجع فى بعض الأحيان كقوله فى حوادث سنة ٨٢١ (فى شوال — اؤائر الطواشى، كاشف الوجه القبلى — وكان من الحمق المغفلين ، والظلمة الفاتكين ، فى صورة الناسكين .) وقوله فى حوادث سنة ٨٧١ (وفى جمادى الأولى على بن رمضان ، الأسلمى أبوه، القاهرى ، مكاس جدة — ممن ظلم وعسف ، وفسق فما كف . وله دار بحارة برجوان كانت مجمعا لمجنه ، و أخذ مسجدا كان بجانبها فأذهب هيئته وعمله مدرسة)

والمؤلف ينقل عن ابن كثير والمقريزى وابن حجر وابن دقماق والعينى وغيرهم — ولكن نقله عن هؤلاء وتعويله عليهم لا يعفيهم من النقد والتجريح — وقد يتجامل على بعضهم تحاملا ظاهرا فلا تمر به مناسبة إلا ابتدرها ، ولا هفوة إلا ذكرها ، كما فعل مع برهان الدين إبراهيم البقاعى المتوفى سنة (٨٨٥ هـ)[٤] . ويكتفى بالغمز الخفى وبالتلميح بعبارة مجملة إن لم يجد موقعا مناسبا — فصارم الدين إبراهيم بن محمد بن دقماق الذى استفاد من كتابه (الجوهر الثمين فى الخلفاء والملوك والسلاطين) كما صرح بذلك فى الكلام على سنة (٨٠٥) التى انتهى الكتاب بانتهائها ، لا يجد المؤلف غضاضة فى أن يصفه لما تكلم على وفاته سنة (٨٠٩) بأنه مؤرخ الديار المصرية ولكنه يتبع ذلك بقوله (وعليه معول كثيرين فى التاريخ مع كونه عامى العبارة) . ونقى الدين المقريزى الذى لم يكتف بنقل كثير من عباراته بنصها بدون إشارة إلى ذلك — بل عمد إلى تذييل كتبه وتكميلها يقول عنه (وصنف فيه — يعنى التاريخ — وطار اسمه به مع عجزه فى غيره) وهذه العبارة المبهمة المجملة يوضحها ما ذكره السخاوى فى ترجمة المقريزى فى (الضوء) من أنه عثر على مسودات الكتابه (الخطط) لأحد العلماء المتقدمين — وهو قول يرده ما عرف من تحامل السخاوى على مؤرخى عصره . والتحاسد بين المتعاصرين المشتركين فى عمل أمر معروف . ويقول السخاوى حينما ساق ترجمة ابن تغرى بردى سنة ٨٧٤ (المؤرخ الفريد فى أبناء جنسه . وما عسى أن يصل إليه تركى مما كان مشتملا عليه يستكثر من مثله) أما موقفه مع السيوطى فما لا يحتاج إلى بيان . حتى شيخه الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢) والذى أفرد ترجمته بمؤلف خاص — و لم فى الثناء عليه مبالغة جاوزت الحد ، حدثنى الأستاذ الشيخ سليمان بن حمدان أحد علماء نجد أن السخاوى هذا ألف فى حقه كتابا سماه (المجر والبجر من أحوال ابن حجر)

أوصاف النسخة :

يقع هذا الجزء فى ٥٩٢ صفحة — مقياس الصفحة ١٦ فى ١٢ سنتيمترا — والمكتوب فيه منها ١٢ فى ٩ سنتيمترا — تحتوى كل صفحة على ١٩ سطرا — تتراوح كلمات السطور بين ١٢ و ١٥ كلمة ، ونوع الكتابة الخط الفارسى الدقيق المهمل

(٣) خطأ مصحح الجزء العاشر من (النجوم الزاهرة) طابع كتاب (الخط السعيد) لما ذكر وفاة مؤلفه فى سنة ٧٤٨ . وهى تخطئة خاطئة فالسخاوى ذكر وفاته فى هذه السنة

(٤) أنظر ترجمته فى (الضوء) . وقد ذكر فى (وجيز الكلام) أشياء كثيرة عنه لا يليق المقام لذكرها

من الإعجام والشكل والخالى من كتابة الهمزات — إلا نادرا ومداد الكتابة أسود سوى أسماء السنين فبالمداد الأحمر — ولا ذكر للكاتب ولا لتاريخ الكتابة . ولا يبعد أن تكون هذه النسخة من مخطوطات القرن العاشر الهجرى، ويؤيد هذا ماجاء فى آخرها بخط مغاير لخط الأصل مما نصه (آخر الجزء الأول من وجيز الكلام فى الذيل للدول الإسلام للذهبى — لشيخنا العلامة الحجة خاتمة الحفاظ والمتقدمين(كذا) أبى الخير محمد بن .. عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر السخاوى القاهرى ...) ومكان النقط كلمات غير واضحة — وكلمة شيخنا تدل على أن كاتب هذا من تلاميذ السخاوى — وكتابة النسخة أقدم من هذه الكتابة .

وقد سقط من أول هذا الجزء كراسة — فى عشر ورقات — لأن كراسات جميع النسخة مرقمة من (١) إلى (٣١) وكل كراسة عشر ورقات سوى الكراسة الأخيرة فورقهاست . وقد يسهو الكاتب فينقص ورق بعض الكراسات ولكنه يستدرك ذلك فى الكراسة التى بعدها — فيجعلها زائدة بمقدار مانقص من التى قبلها كما فى الكراستين (١٥ — ١٦)

ويبتدئ الكتاب من جملة (استكثر على دمشق فليوانى أى البلاد شاء ولاأدخل مصر. ثم خرج من الغد ومعه أهله وعياله ودوابه وحواصله إلى خارج البلد عند قبته المعروفة به) ثم بعد هذا كلام يقع فى ثلاث صفحات عن قتل (يلبغا) فى آخر جمادى الأولى سنة ٧٤٨ وعن إقامة حسن بن الناصر محمد بن قلاون سلطانا فى يوم الثلاثاء رابع عشر رمضان ، ثم بعده سياق خبر وفيات (الذهبى) وابن منصور المقدسى والأدفوى وغيرهم، ثم فى آخر الصفحة الأولى من الورقة الثالثة (سنة تسع وأربعين . استهلت والسلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (كذا) ونائبه بمصر بيبغاروس (بدون نقط) الناصرى)

ثم يسترسل المؤلف فى سرد حوادث السنين إلى نهاية سنة ٨٩٠ — على طريقة المقريزى فى (السلوك) بإيجاز

ومن أمثلة الإشارات اللطيفة الطريفة التى أوردها قوله فى حوادث سنة ٨٨٠ (فى شعبان اجتهد الدوادار الكبير فى تحصيل كتب الوديعة حين بلغه جحد بعضهم استعارة تفسير الفخر الرازى فى مجلد وإرساله لابن عثمان، ورسم على الخازن وصهره حتى استرجع غالبها وعجز عن التفسير بسبب إهانة ابن الشحنة الصغير بسببه . وفى رمضان احتال جماعة من تجار كيتلان الفرنج فى أسر جماعة من أعيان التجار الـ ـمن من ساحل الثغر السكندرى ثم باعوهم لبعض الروادسة إلى أن افتكوا من أيديهم بعد أخذ القدر المتفق عليه فى شعبان سنة اثنتين وثمانين)

هذا وصف مجمل لهذا الجزء . رجاء أن ينبه أحد قراء هذه الصحيفه بوصف أتم وأكمل للكتاب كله

الرياض — محمد الجاسر

ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحى الرسالة
فصول فى الأدب والنقد والسياسة
والاجتماع والقصص
للأستاذ احمد حسن الزيات بك

ظهرت اليوم الطبعة الثامنة منقحة
من كتاب
آلام فرتر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
وهى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة
للشاعر الفيلسوف
« جوته » الألمانى .